عنوان الخطبة: التوكل على الله

اسم الخطيب :سالم العجمي

المصدرhttp://www.salemalajmi.com/main/play/199 :

مقدمة الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ ذي الألطافِ الواسعةِ والنعمِ، وكاشفِ الشدائدِ والنِّقَمِ، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجودِ والكرمِ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه الذي فُضِّل على جميعِ الأممِ، صلى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلم تسليمًا كثيرًا.

نص الخطبة الأولى

أما بعدُ – عبادَ اللهِ:–

فإن مِن سعادةِ العبدِ أن يرزقَه اللهُ تعالى حُسنَ التوكُّلِ عليه في أمورِه كلِّها؛ وإنَّ بلوغَ هذه المنزلةِ لهو من أعظمِ الامتنانِ والتفضلِ على العبدِ؛ فمن توكَّلَ على اللهِ عز وجل – حقَّ التوكلِ – سكن قلبُه، واطمأنت نفسُه؛ ولذّ عيشُه، ذلك أن حقيقةَ التوكلِ هي صدقُ اعتمادِ القلبِ على اللهِ –عزَّ وجلَّ– في استجلابِ المصالحِ، ودفعِ المضارِّ من أمورِ الدنيا والآخرةِ، وتفويضِ الأمورِ كلِّها إلى اللهِ سبحانه، وتحقيقِ الإيمانِ بأنه لا يُعطي ولا يمنعُ ولا يضرُّ ولا ينفع سواه، وهذه منزلة لا يبلُغها إلا الصدّيقون، قال سعيدُ بنُ جُبير :"التوكلُ جماعُ الإيمانِ" (((رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: 29589))).

فالتوكلُ عبادةٌ قلبيةٌ محضةٌ، يظهر أثرها قولًا باللسانِ، وعملًا بالجوارحِ، قال الإمامُ أحمدُ :"التوكلُ عملُ القلبِ" (((عزاه إلى الإمام أحمد ابنُ القيم في مدارج السالكين 2/ 114))).

فلابد للقلبِ أنْ يكون متعلقًا باللهِ حق التعلُّقِ، وأنْ يوقِنَ العبدُ بأن مردَّ الأمورِ إلى اللهِ، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

ولِعِظَمِ منزلةِ التوكلِ فقد جاءت الأدلةُ الكثيرةُ تَحُثُّ عليه وتبيّنُ منزلتَه ليأخذ به المسلمُ لما فيه من حلاوةِ العيشِ وحُسنِ العاقبةِ، فقد قال اللهُ تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: 3] أي: كافيه، وقال: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: 23].

وجاء عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكلِه لرزقكم كما يرزقُ الطيرَ، تغدو خِماصًا وتروح بِطانًا.»

ففي هذا الحديثِ ضرب النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلمَ المثلَ بالطيرِ على ضعفِه، وأن الله قد تكفَّل له بالرزقِ وهداه لأسبابِه، وهذا مما يورثُ اليقينَ عند العبدِ بأن عَيْشَه مكفولٌ، فإذا علم ذلك أورثه ذلك حسنَ ظنٍّ بربِّه سبحانه؛ لأن المتوكلَ حقيقةً مَن يعلمُ أن اللهَ قد ضمِنَ لعبده رزقَه وكفايتَه، فيُصدقُ اللهَ فيما ضمنه، ويثقُ بذلك حقَّ الثقة، ويحقِّقُ الاعتمادَ عليه فيما ضمِنَه مِن الرزقِ، وأن الرزقَ مقسومٌ لكلِّ أحدٍ من بَرٍّ وفاجر، ومؤمنٍ وكافرٍ، كما قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي

الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود: 6] هذا مع ضعفِ كثيرٍ من الدوابِّ وعجزِها عن السعيِ في طلبِ الرزقِ، فما دام العبدُ حيًّا فرزقُه على اللهِ، وقد يُيَسِّرُه اللهُ بكسبٍ أو بغيرِ كسبٍ، وإن كان بذلُ الأسبابِ مطلوبًا.

والتوكلُ دليلٌ على حسنِ ظنِّ العبدِ بربِّه، وعلى قدرِ حسنِ ظنِّ العبدِ بربِّه ورجائِهِ له يكون توكلُه عليه، إذ لا يُتصورُ التوكلُ على من ساء ظنُّه به، ولا التوكلُ على من لا يرجوه، وهذا ما فعله أولياءُ اللهِ تعالى في أحلكِ الظروفِ، وأصعبِ المواقفِ؛ حيث فوضوا أُمورَهم إلى اللهِ -عز وجلَّ- لحُسنِ ظنِّهم بكفايتِه لهم، قال ابنُ عباسٍ رضي اللهُ عنهما: "حسبُنا اللهُ، ونِعمَ الوكيلُ، قالها إبراهيم -عليه الصلاةُ والسلامُ- حين أُلقي في النارِ، وقالها محمدٌ -عليه الصلاةُ والسلامُ- حين قالوا: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: 173]" (((رواه البخاري: 4563))).

فهذا بيانٌ لحالِ الأنبياءِ -عليهمُ الصلاةُ والسلامُ- وكيف بلغ بهِمُ التوكلُ على اللهِ تعالى، وحُسنُ ظنِّهم به على الرَّغمِ مما هم فيهِ من الخوفِ والضنكِ الشديدِ فكان قولهم: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ أي: أنه كافينا في مهماتِنا ومُلماتِنا، وهو نِعم الكافي ومن نُفَوِّضُ له الأمرُ.

فما كانت النتيجة: {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران: 174].

وفي ذلك أعظمُ دليلٍ على أن الإنسانَ مهما مسَّه من الضنكِ والشدائدِ إن لجأ إلى اللهِ سبحانه في أمورِه أعانه وتولاه ونصرَه ...

لكنَّ البلاءَ العظيمَ أنَّ بعضَ الناسِ إذا مسَّه الكربُ لجأ إلى الأمورِ الماديةِ يبحثُ من خلالِها عن الفرجِ، ولو تعلق قلبُه بخالقِه لكفاه ما أهمَّه.

عباد الله: إن اعتمادَ القلبِ على اللهِ تعالى واستنادَه وسكونَه إليه يُذهِبُ عنه ما يكون في القلوبِ من التشويشِ والخوفِ مِن فواتِ الأسبابِ؛ لِعلمِه أن هذه الأسبابَ بيدِ مُسبِّبِها سبحانه، ولذلك لا يُبالي بإقبالِها وإدبارِها، ولا يضطربُ قلبُه ويَخفقُ عند إدبارِ ما يُحبُّ منها، وإقبالِ ما يكرهُ؛ لأن اعتمادَه على اللهِ وسكونَه إليه واستنادَه إليه، قد حصَّنَه مِن خوفِها ورجائِها، فحالُه في ذلك حالُ مَن خرجَ عليه عدوٌّ عظيمٌ لا طاقة له به، فرأى حِصنًا مفتوحًا فأدخله صاحبُه إليه، وأغلق عليه بابَ الحِصنِ، فهو يشاهدُ عدوَّه خارج الحصنِ، فاضطرابُ قلبِه وخوفُه من عدوِّه في هذه الحالِ لا معنى له. ومَثَلُه في ذلك مَثَل الطفلِ الرضيعِ في اعتمادِه وسكونِه وطمأنينتِه بثديِ أمِّه، لا يعرفُ غيرَه، وليس في قلبِه التفاتٌ إلى غيرِه، ولذلك قال بعضُ العلماءِ: المتوكِّلُ كالطفلِ؛ لا يعرفُ شيئًا يأوي إليه إلا ثديَ أمِّه، كذلك المتوكلُ لا يأوي إلا إلى ربِّه سبحانه.

وقد أخبر الله تعالى عن مؤمنِ آلِ فرعونَ أنه قال: {وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [غافر: 44]، والمفوِّض لا يفوِّض أمرَه إلى اللهِ إلا لإرادتِه أن يقضي له ما هو خيرٌ له في معاشِه ومعادِه، وإن كان المقضيُّ له خلافَ ما

يظنُّه خيرًا فهو راضٍ به؛ لأنه يعلم أنه خيرٌ له، وإن خفيت عليه جهةُ المصلحةِ فيه، وهكذا حال المتوكلِ سواءً، بل هو أرفعُ من المفوِّضِ؛ لأن مقامَ التوكّلِ اعتمادُ القلبِ كلِّه على اللهِ بعدَ تفويضِه.

ومِن أجلِّ ثمراتِ التوكلِ على اللهِ الرضا بما يُقدِّرُه اللهُ سبحانه، وهذا مِن أعظمِ درجاتِ العبوديةِ، قال بشرٌ رحمه اللهُ: "يقولُ أحدُهم: توكلتُ على اللهِ، يكذبُ على اللهِ، لو توكل على اللهِ لرضي بما يفعلُه اللهُ به".

ومَن تأمَّلَ الجزاءَ الذي جعله اللهُ تعالى للمتوكِّلِ عليه، وأنه لم يجعلْه لغيره عَلِمَ أن التوكلَ أحبُّ السبلِ الموصلةِ إليه سبحانه؛ فقد قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: 3].

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

مقدمة الخطبة الثانية

الحمد لله عظيم الإحسان واسع الفضل والجود والامتنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

نص الخطبة الثانية

أما بعدُ...

فيا أيُّها المسلمونَ: إن الأخذَ بالأسبابِ مِن تمامِ التوكلِ؛ لأن تركَ الأسبابِ جملةً ممتنعٌ عقلًا وحسًّا، وما أخل النبيُّ صلى الله عليه وسلم بشيءٍ من الأسبابِ؛ فقد لبس درعين يومَ أحدٍ، واستأجرَ دليلًا مشركًا يدلُّه على طريقِ الهجرةِ، وكان إذا سافر في حجٍّ أو جهادٍ حَمَلَ الزادَ والمزادَ، وهكذا فعل أصحابُه رضي اللهُ عنهم وهم أولو التوكلِ حقًّا.

ومَعَ كونِ الأخذ بالأسبابِ من تمامِ التوكلِ فإن الواجبَ على المسلمِ أنْ لا يلتفت قلبُه إلى الأسبابِ؛ بل إلى مسبِّبِها سبحانه؛ فقد يجمع المرءُ جميعَ الوسائلِ الماديةِ، ولا يتمُّ له ما عزم عليه، فإن الأمورَ بيدِ اللهِ.

والعبدُ إذا توكلَ على اللهِ تعالى أورثه ذلك علمًا أكيدًا بأنه لا يملكُ لنفسِه ولا لغيرِه حولًا ولا قوة، وأن استطاعتَه بيدِ اللهِ لا بيده، فهو مالِكُها دونه، وأنه إنْ لم يعطه الاستطاعةَ فهو عاجزٌ، وأنه لا يتحركُ إلا باللهِ لا بنفسِه، ولذا؛ كان من دعائه صلى الله عليه وسلم: «يا حيُّ يا قيومُ برحمتِك استغيثُ، أصلح لي شأني كلَّه ولا تَكِلْني إلى نفسي طرفة عين» ((((رواه النسائي في الكبرى: 10330)))).

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمِّر أعداء الدين، يا رب العالمين.